المصـــــدر :	الشرق الاوسط		
التـــاريخ :	30-06-2007	العـــدد :	10441
الصفحـات :	15	المسلسل :	75

خادم الحرمين الشريفين: لا زلنا مستعدين لإصلاح ذات البين

زين العابدين الركابي

(الاطفائي) يزداد مؤولية ورهقا حين يكون هناك مضى يلتذون بمشاهد الحرائق وهي ستعر وتحرق، ويتمتعون بتزويد نابالوقود كلما انطفأت أو كادت. لكن هذه الفارقات لا تدفع الاطفائي النابه الصدوق ذي الحس الإنساني النبل والنشط: لا تدفعه إلى اليأس ولا النور لأن مهمته الجليلة تقوم على ثلاث وهي العقل والضمير والمصلحة، بمعنى انه ليس من المعقول، ولا من الضمير والمصلحة: ترك الحرائق تستعر بزداد ضراما واتساعا وتتخطى موج الأنون إلى من حولها، وما حولها

هذه صورة وصية عامة لها (مضمونها الواقعي) في الحياة السياسية العربية.

ولقد عبر عن هذ الواقع الماثل رجل بركض ركضا متواصلا من أجل (اطفاء حرائق الاقليم)، محاصرتها في أضيق نطاق يمكن احتصارفيه، وتحجز ألسنتها عنه.. هذا الرجل الإنسان العربي المسلم هو: الملك عبد الله بن عبد العزيز. فقد قال في اثناء زيارته للأردن: «لقد صارت الأمور بعد اتفاق مكة المكرمة بين الاخوة الفلسطينيين على نحو واعد بعث على التفاؤل، لكن سرعان ما انقلبت الأوضاع وحدوث هذه الانتكاسة الخطيرة التي وقع فيها إخواننا الفلسطينيون. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستمر الوضع إلى ما هو عليه اليوم، لأن في ذلك خطة لمن يغتصب الأرض الفلسطينية. وضررا فادحا بالقضية الفلسطينية العادلة، وقد يقضي على الآمال في انشاء الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف. وهنا أوجه نداء إلى إخوة في فلسطين الذين عاهدوا الله في بيته الحرام ان يغلبوا العقل والحكمة وأن يتحملوا مسؤوليتهم الجسيمة أمام شعب فلسطين وأمام أمتهم، وأن يصلحوا ذات بينهم لكي لا يحدث ما تحمد عقباه».. وفي سياق ذي صلة بمسلسل الحرائق في الاقليم والوطن العربي قال الملك عبد الله بن عبد العزيز: «نحن نستشعر خطرا داهما على الكيان العربي بأكمله، وعلى مصير العرب ومقدراتهم ومصالحهم، الأمر الذي لا يتعلق بالمملكة فقط.. أينما نظرتم ستجدون أكثر من بلد عربي شقيق يعاني من أزمات خطيرة، بعضها يكاد يصل إلى شفير الحرب الأهلية، انظر إلى الأوضاع المأساوية في فلسطين الحبيبة وما وصل إليه الأمر بين الأشقاء الفلسطينيين. وانظر إلى ما يحدث في العراق من مآس وأهوال، وما يجري في لبنان، وما يتعرض له السودان من أخطار، وما آل إليه وضع الصومال.. من هنا، فإن ما تبذله المملكة العربية السعودية من جهود لإصلاح ذات البين وجمع الكلمة وتوحيد الصف هو واجب ومسؤولية عظيمة سيسألنا الله عما قمنا به تجاهها.. والمملكة في ذلك كله لا تبحث عن دور ولا تنافس أحدا على دور. ذلك ان هذا مصيرنا وقدرنا، ولا سبيل لنا إلا أن نواصل تحمل المسؤولية تجاه أشقائنا وأمتنا، لأننا ندرك أن التواني على ذلك سيؤدي بنا جميعا إلى أوضاع لا تسر، وإذا كانت خدمة الأمة العربية تنافسا، فليتنافس المتنافسون في ذلك. فهذه الأمة مستهدفة في أراضيها وخيراتها ومقدراتها، ولدينا إيمان راسخ بأن تضافر جهود جميع الدول العربية - قيادات وشعوبا - سيمكننا بتوفيق من الله، من مواجهة التحديات الخطيرة التي تواجه أمتنا».. ويتناغم مع ذلك كله ما قاله الملك العربي المسلم - في ما يتعلق بتصنيف الدولة العربية بين معتدل ومتطرف - إن قال: «هذه المصطلحات التي يروج لها إعلام أجنبي وترددها بعض وسائل الإعلام العربية المشبوهة التوجهات: ليست بالجديدة. فقد سبق في عقود مضت ان صنفت الدول العربية على نحو يوحي بالتضاد والانقسام. ولكن لم ينجح من كانوا وراء محاولات التصنيف تلك في مساعيهم.. في حقيقة الأمر نحن في المملكة العربية السعودية لا تهمنا هذه التصنيفات، ولا تؤثر في توجهاتنا، ولم تضعف من عزمنا على التعاون مع جميع الدول العربية طالما ان هذا التعاون لخير الجميع، طالما انه ليس موجها ضد دولة عربية شقيقة أو دولة صديقة، إذ نحن أصدقاء لكل من يحترمنا، ولا يعتدي على حقوقنا وحقوق أشقائنا. وغاية ما أرجوه هو ان يدرك من ينخدع بهذه التصنيفات من أخوتنا العرب: أن الهدف منها هو زرع الفتنة، وتكريس الاختلاف.. لقد سقط جدار برلين، ولا مجال لبناء جدار بين العرب».

لسنا نـدري: لماذا يتطاول متطاولون على هذه البلاد: المملكة العربية السعودية، وهي التي دوما تضطلع بمسؤولياتها السياسية والأخلاقية والتاريخية تجاه أمتها، وهي التي تتحمل المكاره - دوما - والتشظي.. وكلام (استقلال) في زمن (التبعية والوصاية).. وكلام (تبصر) في زمن (العمى).

ثانيا: (المضامين الانقاذية).

1 - مضمون: أن يتنبه الفلسطينيون الى ان ما يجري بينهم إنما هو خدمة مجانية للعدو الذي يغتصب أرضهم.. وإنما هو ضرر جسيم ينزل بالقضية الفلسطينية كلها، ويباعد بين الفلسطينيين وبين آمالهم في إقامة دولتهم المستقلة.

2 - تضمون (تجديد) النداء الى الفلسطينيين بأن يوفوا بما عاهدوا الله عليه في مكة المكرمة.. وهو نداء جاء في وقته بالضبط. فانذين لا يوفون بما عاهدوا الله عليه في بيته الحرام: ليسوا أهلا لنصر، ولا دولة، ليسوا أهلا لأي شيء. ولو القوا معاذيرهم، لأن الناكث بالعهد مخذول بسبب ما جنته يداه: إلا أن يعود للوفاء لعهد: «فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما».

مكسب عظيم للفلسطينيين: أن تستعد السعودية لاستئناف إصلاح ذات البين: استعدادا لم يتطرق إليه الوهن بسبب ما فعلوه بأنفسهم!!

وحقيقة الأمر: أن هذه المسألة تحتاج الى مزيد من اشباع. بمعنى ان وراء ما يجري في الأرض الفلسطينية المحتلة (عوامل ذاتية) بلا شك.. وكذوب، ترليون كذوب من ينفي هذه العوامل الذاتية المتمثلة في الفساد الغليظ.. والتنافس الحزبي البغيض.. وضعف الاحساس بـ (المصلحة العليا الفلسطينية).. بيد أن (العوامل الذاتية) للأزمة أو المأساة هي نصف الحقيقة أو جزء منها.. أما بقية الحقيقة فهي (العوامل الخارجية).

ولنكن صرحاء.. الى أن أقصى أماد الصراحة في هذه القضية.. إن التراث الفكري والسياسي والدستوري للولايات المتحدة هو (تراث وحدوي). خلاصته (جمع في سبيل ذلك، وكان في إمكانها أن تنعزل: تفاديا لهذه المكاره)».

لا ننتظر جوابا من أحد عن هذا السؤال، إذ هو سؤال لقدح الذهن، وتركيز الوعي على (الايجابيات) التي يحرص أناس - هناك وهنالك - على (تكرانها).

ومن هذه الايجابيات (الماثلة) - لا التاريخية -: (منظومة المضامين والمفاهيم) التي انتظمها كلام الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي قرأناه آنفا.

ومن هذه المضامين والمفاهيم:

أولا: مفهوم (اليقظة) في زمن (الغفلة).. فهو كلام عاقل في زمن الجنون.. وكلام مسؤول في زمن الاستهتار.. وكلام ضمير في زمن فقدان الضمير.. وكلام عزة في زمن الذل.. وكلام (وحدة) في زمن التفتت

المصـــــدر :	الشرق الاوسط		
التـــاريخ :	30-06-2007	العـــدد :	10441
الصفحـات :	15	المسلسل :	75

الولايات المتفرقة) في إطار فدرال واحد سمي (الولايات المتحدة الأمريكية).. وليس من تقاليد أمريكا: التشجيع على التفتت والتمزيق. لكن هذه الادارة الراهنة كسرت هذه التقاليد إذ طفقت تشجع الانقسام والفرقة والتفتت. وبالنسبة للقضية التي معنا، فإن الادارة الامريكية الراهنة تنشط نشاطا مريبا في تصديع (وحدة الشعب الفلسطيني).. مثلا: قال الرئيس الامريكي: «نحن ندعم قوى الاعتدال (!!!) في الشرق الأوسط، ونؤيد دعوة محمود عباس لاجراء انتخابات تشريعية رئاسية مبكرة (في وقت سابق طبعا) لأنها دعوة قانونية»!!!.. وفي الوقت ذاته صدر عن البيت الأبيض التصريح التالي: «إن واشنطن تمنح تأييدها لقوات الرئاسة الفلسطينية ضد حماس».. هذا كلام معزول عن التراث الوحدوي للولايات المتحدة الأمريكية، بل هو كلام معجون بالنزعة الصهيونية في هذا المجال. وهي نزعة بنت استقرار اسرائيل ومجدها على نظرية (تفتيت الوطن العربي) كله، إذ لا ضمان لبقاء اسرائيل الا من خلال أقليم عربي ممزق متصارع متقاتل!!.. والنظرية أولى بالتطبيق - في مفهومهم - في المجال الفلسطيني، أي مضاعفة التمزيق ألف مرة في الساحة الفلسطينية حتى تتعلل اسرائيل في ظلمها الضخم للفلسطينيين بهذه العلة: (إنهم قوم ممزقون متصارعون. ومن ثم فإن السماح لهم بإقامة دولة أمر يهدد كيان الدولة العبرية حيث يدور الصراع على تخومها المباشر)!!.

وبوجه عام، نشرت صحيفة «هارتس» الاسرائيلية تقريرا موثقا قالت فيه: «إن الموساد صمم خطة هدفها تمزيق الوطن العربي بفتن داخلية في كل بلد، وبث الخلاف والصراع بين دول عربية محورية في الاقليم، وقد اقتنعت الحكومة الأسرائيلية بهذه الخطة واعتمدتها منذ عام 2000».

3 - المضمون الثالث من مضامين كلام الملك عبد الله بن عبد العزيز هو مواصلة حمل المسؤولية في اطفاء حرائق الاقليم وإصلاح ذات البين مهما كانت الأعباء ثقيلة.. ولنسجل من جديد تعبيره هو حيث قال: «أن ما تبذله المملكة من جهود لاصلاح ذات البين هو واجب ومسؤولية. وهذا قدرنا ومصيرنا ولا سبيل لنا الا أن نواصل تحمل مسؤوليتنا تجاه اشقائنا وأمتنا لأننا ندرك أن التواني عن ذلك سيؤدي بنا جميعا الى أوضاع لا تسر، وإذا كانت خدمة الأمة تنافسا، فليتنافس المتنافسون في ذلك».

هذا مكسب جد عظيم للفلسطينيين أجمعين: مكسب عظيم وناجز: لتستعد السعودية لاستئناف اصلاح ذات بينهم استعدادا لم ينطرق اليه الوهن بسبب ما فعلوا وأسرفوا على أنفسهم فيه.

واستئناف (العافية) الوطنية الفلسطينية لن يبدأ من الصفر، فثمة رصيد جيد يبنى عليه:

أ - رصيد (اتفاق مكة).. ومما يعزز هذا الرصيد: انه تم بـ (اختيار) فلسطيني حر، لا تدخل فيه من أحد قط: اقليمي أو دولي.. نعم.. فقد وقع الطرفان على هذا الاتفاق بمحض ارادتهم الحرة.

ب - رصيد ما عرف بـ (وثيقة الأسرى). فهي وثيقة تجمع بين الحفاظ على الثوابت، وبين المرونة السياسية في التعامل مع الواقع الموجود.

ج - بناء على هذين الرصيدين، يتوجب (التواطؤ الفلسطيني: المكتوب والمشهود عليه) على رفض كل (تدخل خارجي): اقليمي أو دولي في شأن (البيت الفلسطيني). فالاستعصاء على هذه التدخلات حماية قوية جدا لأي اتفاق فلسطيني مطلوب قبل فوات الأوان.

ومهما يكن من أمر، فإن القضية تتطلب حزمة جديدة ومتماسكة من الأفكار الخلاقة البناءة الواقعية المنسقة.. وهذه هي المهمة الكبرى: الآن وغدا، ولو اقتضى الأمر ايجاد (غرفة خاصة) لانتاج الأفكار المطلوبة.